الفصل الثاني والعشرون

الرحلة العلمية في آثار الكرنك من مدينة طيبة

أعلم أن آثار الكرنك تحتاج في وصفها إلى مجلد ضخم لأنها أكبر و أعظم جميع الآثار المصرية وهي واقعة في الشمال الشرقي من معبد الأقصر و بينهما ما نحو نصف ساعة تقريباً وقال ماريت باشا في كتابه مرشد السياح أن أطلال الكرنك أغرب خراب يراه الإنسان على وجه الدنيا ولذا يجب زيارته لكن إذا حاولنا أن نستخرج منه وصفاً أو نتيجة أو تعيين غرض لعز علينا المطلب وطاح مسعانا مع الرياح وأخطأ سهمنا المرمي لأن وحدة المباني تفرقت وجمع شملها تشتت بما جنته عليها يد الأيام فضلاً عما طرأ عليها من المباني والترميمات مدة تلك الأحقاب الخالية . ومع ذلك لاتخلو من الفوائد العملية التي هي نصب عين علماء الآثار أما السائحون الذين يريدون بها هؤلاء الأطواد الشامخة وتلك الأطلال الدارسة فلا يخرجون منها إلا وقد ذهب بهم العجب كل مذهب حائرون في أمرهم مندهشون مما عاينوا ثم يغادرونها وما تحصلوا منها على شئ غير لغرابة والعجب لأنهم كلما زاد وهناً نظراً زادتهم عجباً وكلما أستنبطوا منها معنى أيقنوا أن هناك معاني ومهما أرادوا الوقوف على حقيقتها علموا بعجزهم وكلما زوّدوا الطرف منها أوقعهم في الحيرة اهـ

ومساحة هذه الأطلال التي شرق النيل تبلغ نحو ألف فدان وبها من الهياكل والأبراج والعمد والمسلات والجدر والصخور والأسوار والبحيرات المقدسة والنقوش والتصاوير والرموز والتماثيل والوقائع الحربية والتواريخ مايذهل العقل ويجعل اللسن أعزل والقلم مغزل وبالجملة مهما كتبت البراعة وأفرغت حقبة البراعة فأنها لا تستطيع أن تأتي بتفاصيل هذا القول المجمل ولاتقوى على وصف ذلك الطلل المهمل الذي مزقته يد الزلازل وفرقته كوارث النوازل وهل لعبر المصريين مبان صبرت على كيد الزمان وتجرعت غصة الملوان حتى وصلت إلينا وياليت شعري هل هي رسل مرسلة من لدن أهل تلك الأزمان لتنبئنا بما كان في قدرة الإنسان ولقد حارت الأفهام وضلت الأوهام في كيفية نصب هذه الأساطين البالغة مائة أربعة وثلاثين وكل واحد منها ما كالبرج يبلغ إرتفاعه نحو السبعين قدماً و قطره أحد عشر قدماً وعليها تيجانها الصخمة التي كانت تحمل سقفها المنقوش بالقلم القديم وجميعها من الصخور الجافية .فأحكم رعاك الله بما كان للمصريين من القوة والإقدام وتذليل كل أمر صعب وما كان الغرض من مثل هذا العمل وما مقدار المدة التي

أستحضروا فيها تلك الصخور وكيف قطعوها وبأي طريقة أحضروها وأي آلة رفعتها وكيف كان بناؤها وما مدته .أما ما عليها من النقوش فقد أتوا فيه بالمرقص والمطرب بل بالمدهش والمغرب وكم أدمجوا في خلالها من أفكار مبتكرة وأدرجوا سطورها من ضمائر مستترة أشغلت أفكار علماء الآثار وكل من يعاني حل المعاني فتارة كانوا يرسمون صورة الهيجاء والملك فوق عربته كبرج شاهق وصدر خيله فوق آلاف من العدو وأخرى كانوا يصورونه كطود شامخ والأعداء في حذاء ركبته أو يجعلونه كشخص هائل الخلقة قد وطأ بقدميه رأس رؤساء القبائل أو وطأ قدميه جماعة ويده متهيئة لطعن آخرين) راجع شكله في الباب السابع من هذا الكتاب (وربما رسموه على صورة بحر يجر خلفه كثير من الأمم التي خضعت له أو جعلوه في هيئة جسيمة قابض بيده اليسرى على شعر كثير من أعيان الأعداء وملوكهم وهم جاثون على ركبهم أمامه وفي يده اليمني مقمعة يضرب رأسهم بها أنظر الشكل الآتي المنقول من معبدا بسمبل ومندرج في الفصل الثاني عشر أو يقود خلفه كثيراً من الرؤساء وهم موثوقو الأيدى من خلفهم والأغلال في أعناقهم وغير ذلك مايعبر الأفكار .أما الهياكل التي بهذه الجهة فكثيرة ومتفرقة في خراب تلك البقعة وأحسن الطرق لزيارتها هو ماذكره ماريت باشا وغيره وهو أن يخرج الإنسان من قرية الأقصر ويتجه إلى الشمال الشرقي ويقصد الطريق المشار إليه في الرسم بنمرة 3 وهو طريق محاط بأصنام لها رأس كبش وجثة أسد رابض وعليها اسم الملك أمونوفيس الثالث) ارع مانب (كما تقدم في ذكر معبد الأقصر يمر بوسط معبد خنسو المرموز له بحرف) ت (ومنه توصل إلى أبراج معبد أمون المشار اليها بنمرة 1 ثم يقصد المعبد نفسه ويمشي فيه إلى الشرق ثم ينعطف إلى جهة اليسار حتى يصل المعبد الواقع على يساره المرموز له بأحرف)ا ب ح (ثم يعود إلى الجنوب ويميل قليلاً إلى الشرق أي إلى جهة اليسار حتى يصل نقطة) ك (ومنها إلى البحيرة المرموز لها بحرف) ع (ثم إلى أبراج نمرة ٨ المشهورة بتماثيلها الجافية ثم يسلك الطريق المشار إليها بنمرة 4 والمحاطة بالأصنام ذوات رأس الأدمي وكلها من عمل الملك هوروس) هورمحب (حتى يصل معبد المعبودة موت المرموز له بحرف) و (وإلى هنا انتهى وصف الطريق المرسوم بهذه الأحرف في اللوحة العامة لأطلال الكرنك أما وصف هذه الأما كن وجه الاختصار فهو:

(أولها) معبد خنسور هو من بناء الملك رمسيس الثالث وأبراجه اللطيفة تنسب إلى بطليموس المدعو أورجيطه) أي الرحيم سمي بذلك من باب التهكم والسخرية (وعليها صورة الشمس بجناجيها .أما الباب الثاني المقابل لهذه الأبراج في فهو لدولة البطالسة أيضا فإذا دخلنا منه وجدنا

الملك أورجيطه المذكور متقمشياً بثياب يونانية وقائماً يقدم قرابينه كفراعنة مصر إلى المعبود خنسو الذي نسب إليه هذا المعبد ثم نجد بعد ذلك رحبة ليس بها عظيم فائدة غير صورة كل من رمسيس الثالث والرابع والثالث عشر وهم قائمون بعبادة هذا المعبود ثم يلى ذلك فسحة بها ثمانية من العمد و على حائطها حادثة ماوقع نظيرها في تاريخ مصر وهى إغتصاب الكاهن حرحور لملك مصر وكتابة أسمه في خانة ملوكية لكنه لم يلبس التاج ولم يتلقب بالألقاب الفرعونية فإذا دخلت الرواق الذي يليه وجدته قد تم له الأمر ووضع ثعبان الملك على جبهته وهو عنوان على السلطنة وتلقب بالألقاب الملوكية وكتب أسمه في خرطوشين كباقي الملوك ثم ترى على الأبراج أسم الكاهن الأكبر المدعو بنتم مكتوباً في الخانات الملوكية أيضا لأنه صار ملكاً بعده ومن ذلك أستنتج علماء الآثار ضعف دولة الفراعنة في آخر العائلة المتممة للعشرين وهى دولة الرمامسة) أنظر لوحة 1 و الرسوم بها عموم أطلال الكرنك ولوحة 2 و المرسوم بها العبد الأكبر وهو من بها أمون.

ثانيها (المعبد الأكبر) معبد أمون (وطول محوره من الشرق إلى الغرب يبلغ 366 متراً وعرضه ١٠٩ أمتار فإذا أضفنا إليه جمع ملحقاته الواقعة بجواره من الشرق والغرب يبلغ طول محوره ٨٠٨ أمتار وأحسن طريق أن يدخل المتفرج من بابه الغربي المشار لأبراجه بنمرة 1 وهنالك يرى الحوش المرموز له بحرف) ب) (أنظر رسم هذا المعبد في لوحته الخاصة به .(أما الأبراج فن بناء دولة البطالسة لكنها لم تتممها وهي عمارة جسيمة جدا يبلغ طولها ١١٣ متراً وعرضها 10 متراً وإرتفاعها 50 و 45 متراً وجميعها خال من النقوش والزينة وظن بعض علماء الآثار أنهم كانوا عزموا على أن يعملوا عليها رسوما هائلة فأبتدؤا بأن يرسموا عليها خطوطاً بالألوان ليحددوا بها تلك الصور التي أرادوا حفرها في الحجر ولكن لم يتيسر لهم أن يتمموا هذا المشروع فبقيت كما هي ومن صعد عليها رأى جميع الأطلال أسفله أما السور الشمالي والجنوبي من الحوش المتقدم ذكره فمن بناء الملك شيشاق رأس العائلة البوبسطية) نسبة إلى تل بسطه وهي العائلة الثانية والعشرون (ونصب به الملك طهراقه الأتيوبي) الحبشي من العائلة الخامسة والعشرين (صفين من الأعمدة الضخمة جعل تيجانها على هيئة النواقيس المحفوفة بمايشابه ورق الكاس الزهري وحولها النبات المائي وفوق كل واحد قاعدة مكعبة كانت جلسة لتمثال المعبودات غير أن الملك ابساميطيقوس الاول) من العائلة الصاوية وهي السادسة والعشرون (جعل أسمه على هذه العمد مكان اسم صاحبها ونسبها لنفسه.

أما البانى للأبراج والباب المرموز لها بنمرة 2 فهو والملك رمسيس الأول ولم يكن للمعبد

باب عام غيره من جهة الغرب إلى أن بني الملك شيشاق الحوش الذي نحن بصدد وصفه وآثار هذه الأبراج القديمة لم تزل باقية إلى الآن .وكان لرمسيس الأكبر على هذا الباب القديم تمثالان متقنا الصنعة قائمان كأنهما يمشيان أحدهما على يمين الداخل وقد هشمت رجله الأمامية والثاني على يساره أي على يسار الداخل وقدخر على الأرض وتهشم وزال ومتى كان الإنسان في حوش المعبد وظهره إلى الباب نمرة 1 كان على يساره آثار المعبد الصغير المرموز إليه بحرف) ل (وهو منفصل عن جميع المباني وليس له علاقة بهذا الحوش وهو من بناء سيتى الثاني أو منفطة) مرنبتح ( )من العائلة التاسعة عشرة (وحجره رملي وأبوابه الثلاثة من ججر الكوارس الرملي الأحمر وعليه أسم المعبود سات ولما بناه أرصده إلى ثالوث مدينة طيبة وهو أمون وموت وابنهما خنسو تقدم في ذكر معبد الأقصر وفي الرواق الشرقي صورة السفينة المقدسة للمعبودة موت مع ابنها خنسو والملك سيتي الثاني أو منفطة يقدم لها الخمر وبجوار ذلك صورة الملك المذكور يقدم إلى معبوده أمون صورة إلهة الحق فإذا خرج الإنسان منه وجعل وجهه إلى الباب المشار له بنمرة 2 كان على يمينه المعبد المشار له بحرف) م (وهو من بناء رمسيس الثالث) من العائلة العشرين .(وهو معبد عظيم قائم بذاته لكن إذا نسيناه إلى معبد الكرنك لم يكن إلا كزاوية أو بيعة صغيرة وطول محوره 52متراً وأبراج بابه أنهدمت من أعلاها وله حوش واسع يرى به الداخل عن يمينه ثمانية أساطين مركوز عليها صورة أوزيريس وعن يساره مثلها وفي صدر الحوش أربعة من الأساطين كانت تحف مجازا يفضى إلى رحبة صغيرة بها ثمانية أعمدة و تيجانها على شكل أكمام نبات البردي وهذه الرحبة توصل إلى المحل الأقدس وتماثيل هذا المعبد تشابه التماثيل الكائنة في معبد الرمسيوم ومدينة) أبو .(وسوف يأتي الكلام عليه وعلى ظاهر الأبراج نقوش وكتابة تفيد ممنونية الملك رمسيس الثالث من معبوداته التي أباحت له الظفر بالأعداء وعلى الجناح الشرق أي الأيسر من الأبراج صورة هذا الملك وهومتوج بتاج الصعيد فقط وقابض على شعر ثلاثة صفوف من الأعداء وهم جاثون أمامه ويضربهم بمقمعة بحيث تصيب جميع رؤسهم في آن واحد وأمامه المعبود أمون يقدم له سيف النصر ومن تأمل في هؤلاء الصفوف علم أن اثنين منها رمز على أهالى الجنوب) بلاد أتيوبيا و وما جاورها .(والصف الثالث رمز على أهالى الشمال) بلاد الشام وماحولها (وعلى الجناح الغربي أي الأيمن منها تجده متوجاً بتاج البحيرة وفي سمك فتحة الباب تراه يستر علامة الحياة من معبوده أمون وعلى الحائط الأيمن من الأبراج صورة الحرب والقبض على الأسارى .أما داخل المعبد فدمر ومفعم بالأنقاض وعلى اليسار فيما يلي الجدار شرقا صورة تقديم القربان وهناك مكتوب ما نصه أمر

رمسيس الثالث في شهر بينى) بؤنه (من السنة السادسة عشرة من حكمه أن يقدم قربان إلى أبيه أمون رع على مائدة من الفضة ومن المأكولات الطبخ مما يطبخ من قرابين الخ أما رحبة الأعمدة المرموز لها بحرف) د (فهي أكبر رحبة في جميع آثار القطر المصري حيث يبلغ طولها نحو 103 أمتار وعرضها 52 متراً وذلك بقطع النظر عن سمك سورها ويرى به أسم الملك سيتى الاول) من العائلة التاسعة عشرة (وهو أقدم اسم ملك وجد بها وظن بعض علماء الآثار أنها من بناء رمسيس الأول أماسيتي المذكور فأتمها و زينها وكانت هذه الرحبة مع إتساعها مسقوفة بالصخور وجميعها ظلام لا يدخلها الإ ضوء ضعيف من مناور كان عليها برامق من الأحجار لم يزل بعضها باقياً إلى الآن وكان جميع السقف والجدر مستورا بالنقش والقلم البربائى و بوسط جداريها شمالاً وجنوباً بابان كبيران ينفضيان إلى هاتين الجهتين ولابد أنها كانت أعجب جميع مباني الدنيا بعد الأهرام فأن المتفرج يخال أعمدتها ومسلاتها غابة بديعة من الأحجار الملساء القائمة بهندام كأحسن ما يكون وقال بعض العلماء إذا كان هنالك مبان غريبة فلاشك أن تكون هذه الرحبة .وقد أهتم بها جملة ملوك بذلوا فيها أقصي عنايتهم منها الملك رمسيس الأول وسيتى الاول ورمسيس الأكبر وغيرهم و بها لهذا الأخير بعض تماثيل وتشغل من الأرض نحو خمسة آلاف متر مربع وقال المعلم بيديكر الألماني في الجزء الثاني من كتابه مرشد سائحي الألمانيين إلى آثار مصر أن هذه الرحبة تسع جميع كنيسة مريم العذراء التي بمدينة باريس **Notre Dame** وبها مائة وأربعة وثلاثون عموداً من أعظم ما يكون تحمل سقفاً من الصخور أما صفا الأساطين التي بوسطها فيبلغ عددها اثنى عشر عموداً وهي أعلى وأضخم من باقي الأساطين التي حولها حيث يبلغ قطر كل واحد منها ٣,٥٦ أمتار ومحيطه ينوف عن العشرة أمتار وارتفاعه ٢١ متراً وقطر تاجه ٣,٣٤ أمتار وإذا تحلق بالعامود الواحد منها ستة رجال واضعين يدهم في يد بعضهم لايكادون يحيطون به وأما باقي الأعمدة فيبلغ محيطها نحو 8,40 أمتار وإرتفاعها ١٣ مترا وتيجانها على شكل أكمام نبات البردي .ولكن من الأسف أننا نرى بها كثيراً من هذه الأساطين قد طاحت به الأيام فأنقض أو مال أو وقع تاجه من وقته أو آل إلى السقوط أما عرشها فخر على الأرض وأن لم تتداركها عين الحكومة أو المحسنين من الزائرين لأصبحت كأن لم تغن بالأمس ولكن ماذا تصنع الحكومة أو الحكومات الأجنبية في بناء قام به جملة دول من الفراعنة مدة سطوتهم وإمتداد شوكتهم وتسخيرهم لمن جاورهم من الأمم مع وفرة الوسائط من مال والآت والذي أعلمه أن أعظم دولة ببلاد الأفرنج تعجز عن ترميم معبد الكرنك وإعادته لما كان عليه إلا في الزمن الطويل أما العمد فكل واحد منها مركب من جملة صخور

منحوتة بهندام لطيف الشكل وعلى كثير منها أسم رمسيس الثاني وفي أعلى الستة صفوف.

التي جهة الشمال اسم سيتي الأول وفي أسفلها اسم رمسيس الرابع وفي أعلى باقي العمد اسم رمسيس الثاني وفي أسفلها اسم رمسيس الرابع وعلى بعضها اسم رمسيس الثالث والسادس والثالث عشر وعلى بعضها اسم رمسيس الثاني وهو ملقب بأنه ملك الصعيد والبحيرة وسيد الخافقين وابن الشمس وصاحب التاج وغير ذلك وأحسن طريقة لرؤية جميع هذه الرحبة بما إشتملت عليه هو أن يقف الإنسان على بابها بين الأبراج المشار لها بنمرة ٢ وينظر من بين صفي تلك الأعمدة الضخمة المارة بوسطها. وقد رأيت بعض السائحين يقصدون هذا المكان ليلًا متى كان ضوء القمر مستكملًا لأنهم يرون له رونقاً وبهجة عجيبة.